Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت مسألة التحسين والتقبيح إحدى مسائل العدل التى اختلف حولها المسلمون ، وقد يعتقد بعض الدارسين زيف المسألة وصوريتها ولفظيتها ، وهو صحيح فى بعض نواحيه ، إلا أن ما ترتب على هذه المسألة خطير حقيقة ؛ لأن جعل الشاذ قاعدة ، ليس من طبيعة الأمور ، كما أن تنحيه العقل عن إدراك مراد الله من الخلق خطأ فادح ، وإذا كان الشرع قد جاء بعقيدة عاقلة وهو الذى جمع بين نصه والعقل ، فصار نصاً عاقلاً ، فلم افتعل بعض المسلمين المفارقة ؟ !

لاشك أن ما ترتب على مقالة التحسين والتقبيح كان خطيراً فى عقائد المسلمين ، وترك أثرهُ فى حياتهم ، وحضَارتهم أيضاً ، فقد كان إنقاص أو تراجع دور العقل فى قيادة هذه الحضارة من كل الجوانب ، سبباً رئيساً فى القضاء على الأمة والإجهاز عليها، وجعل دَفَّة العلم والنور فى غير أيدى المسلمين ، وجعل الغلبة لأعدائهم عليهم... ولذلك نريد التصريح بأن مثل هذه المسألة لم تكن بالسطحية المتصورة ؛ لأن تنحية العقل عن مصاحبة الشرع فى حد ذاتها أكبر أخطاء المفكر المسلم التى قال بها ، والاتجاه الذى وقف وتصدى للظاهرة جدير بمعرفة موقفه ، لجمعه بين الاثنين وعدم تصوره لأحدهما دون الآخر .

كذلك عرض هذه المسألة على أنها عقائدية بحتة ، وأن المخالف فيها إما كافر أو قريب من الكفر هو التطرف بعينه ، وعدم فهم المسألة فى إطار كليات الإسلام وقواعده العامة وأصوله يؤدى إلى تكرار المقالات كما هى دون تعديل أو تصويب .

وليس حقيقة أيضاً أن السلف فَرَّقَ بين العقل والنقل وتصور المنازعة بينهما ، إذا أن اللغة التى نزل بها القرآن عاقلة الدلالات وتنتج من ذات نفسها منهجاً عقلياً وفكرياً فريداً ومتميزاً ، وكذلك نزل القرآن لينصر قضية العقل بداية من الفطرة ونهاية بالنظر والاستدلال والاستقراء والاستنباط والقياس والتجريب .

وهناك تركيب علمى ذكره القرآن الكريم ، جاء به العلم المنهجى فى العصر الحديث وهو الإدراك حسب قواعد من العرض والفهم والتذكر والتحليل والاستنباط والتركيب والنقد والتقويم .. وهكذا ، وهو قمة المنهج العلمى فى النظر ووضع القواعد والأهداف وترتيبها .